الفصل السابع

الحياة الوجدانية

الألم واللذة (١)

كل ظاهرة نفسية تنحلل إلى ثلاثة وجوه : الإدراك والوجدان والنزوع . وقد درسنا من الظواهر النفسية طائفة من النزعات الإنسانية ، بعضها فطرى و بعضها مكتسب ، هذه النزعات هى أساس السلوك عند الإنسان . و يصحب الميل إلى العمل حالة وجدانية ، إما أن تكون عامة هى الألم واللذة ، و إما أن تكون خاصة هى الانفعالات المختلفة ، مثل الفرح والحزن والغضب والخوف والخجل والدهشة . هذه الانفعالات تتعقد وتتركب فتسمى عواطف . وسندرس هذه الحالات الوجدانية على الترتيب ، مبتدئين بالألم واللذة ، ثم بالانفعالات والعواطف .

والألم واللذة اصطلاحان أوليان لا يمكن تعريفهما بغيرهما ، أو تحليلهما إلى عناصر أكثر بساطة ، لأنهما حالتان شخصيتان نشعر بهما كما هما .

وهناك لذة وألم ماديان ، ولذة وألم نفسيان . فالنوع الأول يرجع إلى إحساسات جسمية ، ويكون مصدر اللذة أو الألم محدوداً معروفاً ، كالألم من جرح أو حرق ، واللذة من مذاق طعام . وقد يشيع الألم أو اللذة بحيث لا يعرف مصدرهما فتوصف الحالة الوجدانية بالارتياح أو عدم الارتياح . أما النوع الثانى فهو الألم واللذة النفسيان ، كالارتياح الذى يصيب الإنسان عقب النجاح فى

---

(١) La douleur et le plaisir.

مشروع أو الحصول على مرغوب ، أو كالألم الذى يقترن بفقد عزيز أو تأنيب الضمير . وهنايقترب الألم واللذة من الانفعال بحيث يصعب التمييز بدقة بين الفريقين .

وتمتاز اللذة والألم بالتقلب المستمر ، بينما الناحية الإدراكية من الأشياء تكون ثابتة إلى حد كبير . فإدراكنا للتفاحة فى شكلها وحجمها ورائحتها ومظهرها الخارجى هو هو لايتغير ، ولكنك قد ترتاح إلى تذوقها مرة ولا ترتاح مرة أخرى .

ويتأثر الألم واللذة تأثراً نسبياً بالحالات الجسمية والعقلية التى يتوقفان عليها . فالمتصوف الدينى يجد فى الألم لذة ، والجندى لا يشعر بجراحه فى ساحة الحرب كما يشعر بها وهو منقول إلى المستشفى . فالموازنة بين اللذة والألم تلعب دوراً هاما فى الحياة الوجدانية ، وكثير من اللذات والآلام لا توجد إلا بالنسبة لحالات سابقة عليها ، فلذة النجاح تتناسب مع صعوبة الأمل المطلوب .

وتضعف اللذة عندما تذهب جدّة الأمر الذى يبعثها ، إذ يحدث إشباع لحاجة النفس ، كما لو كان الإنسان جائعاً وأكل . فالأشياء التى تتكرر أمام الإنسان تنتهى به إلى أن يتعودها ، فيقف منها موقفاً فيه كثير من عدم الاهتمام . أما الألم فقد يزداد باستمراره .

الانفعالات[1]

الانفعال هو حالة نفسية وجدانية يصحبها اضطراب نفسانى وجسمانى . فإذا كنت جالساً تقرأ فى جريدة ، ثم وقع بصرك على نعى وفاة صديق لك ، فإنك تنفعل انفعال الحزن . وإذا دخلت منزلك كالعادة فوجدت لصّاً يهجم عليك ، مهدداً إياك بسكين حادة تلمع فى يده ، فإنك تنفعل انفعال الخوف . وإذا كنت

(١) Emotions.

متدثراً برداء جديد تختال به ، ثم تنزلق قدمك فيتسخ رداؤك و يتمزق ، فإنك تنفعل انفعال الغضب أو الخجل ... فما هو السبب فى هذه الانفعالات .

تجرى حياة الشخص فى سلسلة من الميول والعادات ، يتطبع بها و يوطن النفس عليها . فإذا حدث ما يخالف نظام التفكير العادى ، فانه يصطدم بشىء جديد غير منتظر مخالف للعادة ، فتحدث « صدمة نفسية »[1] هى التى تسبب اضطراب العقل والجسم .

و يأتى الانفعال فجأة دون تمهيد ، كالسيارة التى تجرى على الأرض الممهدة السهلة ، ثم تصطدم فجأة بجدار أو شجرة أو أى شىء آخر ، فتضطرب وتهتز . فتفكيرك العادى الذى يجرى مجراه الطبيعى ، هو أن صديقك حى يرزق ، ثم تقرأ الجريدة تطلع فيها على الأخبار ، فإذا بك تفاجأ بنبأ وفاته على غير انتظار ، فتحصل هذه الصدمة النفسية التى نسميها الانفعال . وكلما كانت العادات التى يعارضها الأمر الجديد متمكنة من صاحبها ، قديمة التكوين ، كان الانفعال أقوى وأشد .

ولابد من وجود مؤثر خارجى يؤدى إلى الانفعال ، الذى يتوقف على إدراك الشخص للمؤثر . فإذا أدرك أحد الناس « نكتة » فى حديث ضحك ، و إذا لم يدركها لم يضحك . فالمؤثر فى الأمثلة السابقة هو : نبأ الموت أو هو اللص الذى يهجم عليك ، أو هو الانزلاق والوقوع . ولا ينبغى أن يكون المؤثر شيئاً مادياً ، فقد يكون ماتتذكره أو ما تتخيله ؛ فالأم حين تتذكر موت ابنها تنفعل انفعال الحزن وتبكى ، و إذا تخيل شخص أنه راكب طيارة ووقعت به فإنه يخاف .

---

(١) Choc.

أثر الانفعال فى العقل :

إذا حللنا الحالة العقلية وقت الإنفعال نجد أن الانتباه بعد أن يكون هادئاً عادياً بحيث يدرك الإنسان أغلب ما يمر به من حوادث ، يتركز فى مصدر الانفعال فقط وينصرف عن كل ما عدا ذلك . ويتوقف تركز الانتباه على حدّة الانفعال ، لذلك لايدرك الشخص الأشياء التى تحيط به ، كأنها غير موجودة . كذلك تنقطع سلسلة تداعى المعانى ، وتتجه الخواطر فى طريق جديد أساسه مصدر الانفعال . فالتاجر الذى تتسلسل الأفكار فى ذهنه ويدور محورها على هذا النسق : البضاعة ، وأنواعها ، وثمنها ، والعملاء ، والديون التى له والتى عليه ... ألخ ، إذا سرق لص حافظة نقوده انقطعت سلسلة تفكيره الأولى وبدأ يفكر فى اللص ، وكيف يمسك به وكيف يعاقبه ، وكيف وقعت السرقة ، وماذا يعمل إذا لم يعثر على الحافظة ... ألخ

وقد يزداد النشاط العقلى وقت الانفعال ، فتزداد حدة الخيال ، ويهبط على الإنسان نوع من الإلهام يبتدع به الأمور الجديدة ، بعد أن يكون العقل جدباً . والانفعال يبعث على اختراع الأفكار الجديدة ، فالغيرة بين الطلبة فى المدرسة دافع إلى إحرازهم السبق فى العلوم .

وقد يؤدى الانفعال إلى شل حركة الفكر والعمل ، بحيث يضطرب التفكير ، ويرتبك الشخص حتى يعسر عليه فهم الموقف المحيط به ، ولا يدرى ماذا يقول أو يفعل ، وقد يصل به الأمر إلى حد البلاهة .

ومهما يكن من شىء فإن الإنسان فى ساعة الانفعال يفقد قوة ضبط النفس ، فتصدر الأعمال لا عن روية وتفكير وعزيمة ، بل عن نزوة واندفاع ، لأن الإنسان لا يكون له سلطان على نفسه . وإذا كان حقاً أن التفكير قد يعمق ، والخيال قد ينشط ، فهو تفكير يطغى على صاحبه ، فلا يستطيع أن يوجهه كما يريد . وهذا

الاضطراب العقلى مدعاة إلى فقدان قوة الحكم والنقد ، فيصبح الإنسان عرضة للاستهواء وسهولة التصديق .

وكثيراً ما يكشف الانفعال قناع العادات المكتسبة والآداب المتبعة ، فتبرز سريرة الشخص خالصة من غشاء التقاليد ورداء العادات ، حتى ليرجع الإنسان إلى الحالة الحيوانية أو يتصرف تصرف الطفل .

أثر الانفعال فى الجسم :

يصحب الانفعال تغيير فى مظاهر الجسم الباطنة والظاهرة .

والأثر الباطنى للانفعال يتناول جميع أجهزة الجسم ، كالجهاز الدموى والتنفسى والهضمى ، والغدد . وسنقصر بحثنا على دراسة الخوف .

فى حالة الخوف تزداد ضربات القلب أو تضعف ، والغالب فى ذلك هو ازدياد ضربات القلب ، ويصحب ذلك انقباض الأوعية الدموية فينحبس الدم عن سطح الجلد .

أما التنفس فيضطرب فى نظامه وعمقه ، ويبذل الإنسان جهداً فى الشهيق والزفير ؛ وقد أجرى العلماء تجارب عدة على الإنسان فى الحالات المختلفة من الانفعال ، وسجلوا رسوماً بيانية تبين الصفة التى يكون عليها التنفس .

ويحصل فى الجهاز الهضمى توقف حركة المرىء والمعدة والأمعاء الموجية ، كذلك يتوقف إفراز اللعاب ، ولذا يشعر الإنسان بجفاف فى الفم ، وتتوقف إفرازات المعدة ، ويفقد الإنسان الشهية ، وتشل العضلات القابضة ، فينتج عن ذلك تساقط البول ، وهذا أثر لشل عضلة المثانة القابضة .

أما الغدد فقد يقف إفرازها ، كالغدد اللعابية ، أو تنشط بعض الإفرازات

مثل الدموع ، والصفراء ، والبول ، والعرق البارد . ويفرز «الأدرنيالين» بكميات قليلة فى الدم ، وهو مادة تفرز من الغـدد الموجودة فوق الكلى فتهيج كثيراً من الوظائف الباطنية فى الجسم ، مثل ازدياد الكريات الحمراء والبيضاء فى الدم ، وقد ثبت ذلك من التجارب التى أجريت على الجرذان ، ثم يتأثر الكبد فيخرج إلى الدم كمية عظيمة من السكر الحيوانى المخزون به ، وقد تزداد كمية السكر فى الدم إلى حد أن ينصرف إلى البول ، وقد شوهدت هـذه الحالة فى بعض لاعبى كرة القدم قبيل إقدامهم على المباراة ، وفى بعض الطلاب قبل الامتحان . وقد يؤدى الخوف الشديد ، أو الرعب المستمر ، إلى الهرم المبكر ، ويصحب ذلك المشيب .

ويصحب الخوف تأثر الجهاز العضلى تأثيراً يؤدى إلى انعدام السيطرة الإرادية ، فينتج عن ذلك الرعشة ، وشلل الأرجل .

وينتج عن الانفعال تغيير ظاهر فى ملامح الوجه ، وفى حالة الخوف يصفر الوجه ، وتغور الوجنتان ، وينحسر الفك الأسفل ، وتتسع حدقة العين .

(شكل ٦) الرعب

والخلاصة أن الانفعالات المختلفة مثل الفرح والحزن والغضب والدهشة والإعجاب والضحك والقلق .... ألخ ، يصحبها تغيير فى جميع أجهزة الجسم الباطنة وفى ملامح الوجه ، ويختلف هذا التغيير شـدة وضعفاً باختلاف الانفعال . ومن الإطالة أن نذكر جميع هذه الانفعالات بالتفصيل ، ويستطيع القارىء أن يلاحظها بنفسه . ومن الظريف أن نذكر أن ملامح الحيوانات تتغير فى أثناء الانفعال

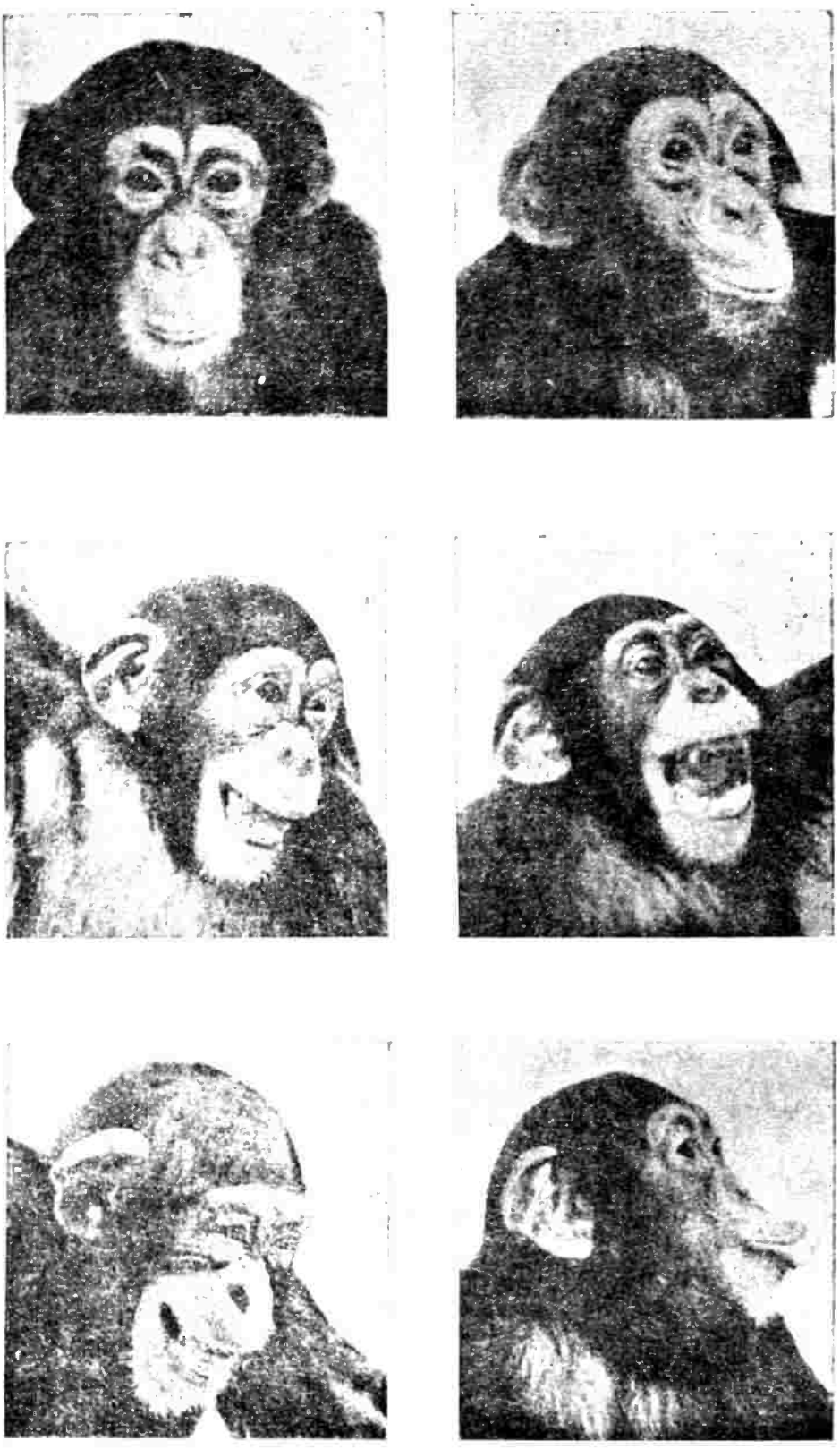

(شكل ٧) أثر الانفعال على الحيوان

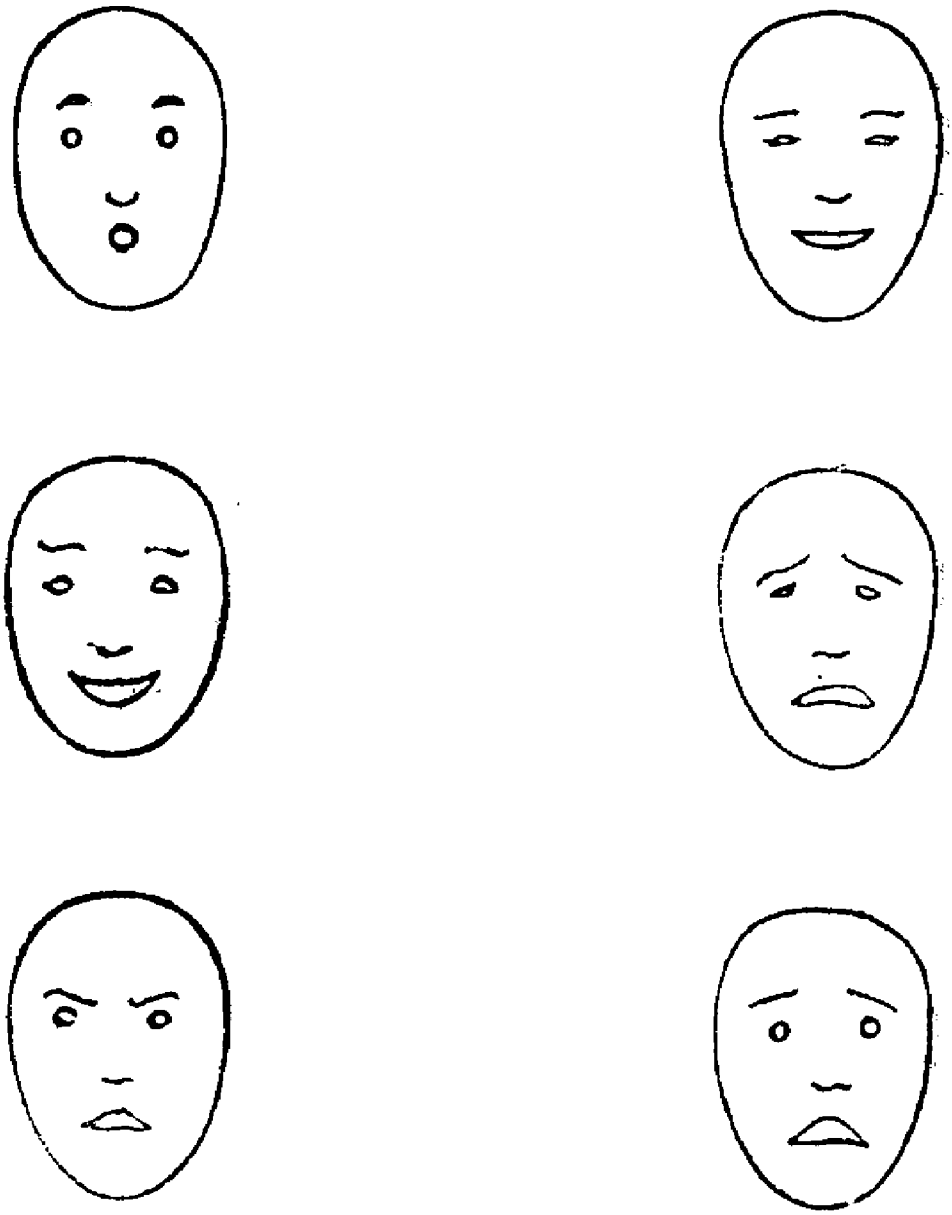

(شكل ٨)

ملامح الوجه عند بعض الانفعالات كما يراها العالم « فرابا »

(انظر شكل ٧) . وقد أورد العالم « فرابا Frappa » رسما كروكيا للملامح التى تصحب بعض الانفعالات كما هو واضح فى (شكل ٨) .

لماذا ننفعل ؟

ليس تعليل الانفعال بالأمر السهل ، وقد تضاربت النظريات فى ذلك .

وأول هذه النظريات تقول بأن الانفعال هو نتيجة الشعور بالموقف الخارجى الذى يبعث الانفعال . ولكن ليس مصدر الانفعال هو كل شىء ، فقد يكون الخطر واحداً فيخاف شخص و يحتفظ آخر بهدوئه ، وكلاهما يشعر بالخطر . فالقول بأن الشعور بالمؤثر الخارجى هو السبب الوحيد الذى يؤدى إلى الانفعال لا يفسر لنا المثال السابق . كذلك هناك انفعالات كثيرة لا يتبين الإنسان مصدرها ، فالمنقبض المزاج ، الذى يظل حزيناً عدة أيام متواليات ، قد تمر به حوادث مبهجة فلا يفرح لها . وكثيراً ما يثور الإنسان لأتفه الأسباب ، والحقيقة هنا أن نفسه غاضبة فيلتمس أى شىء ليبرز الغضب .

والنظرية الثانية عكس النظرية الأولى ، فبدلا من اعتبار الآثار الجسمية نتيجة الانفعال ، يقولون بأن الانفعال هو نتيجة هذه الظواهر الجسمية ، والاضطرابات العضوية . وتفسير ذلك أننا نخاف لأننا نرتعش ، ولا نرتعش لأننا نخاف ؛ ونحن نحزن لأننا نبكى ، ولا نبكى لأننا فى حزن . ولابد بطبيعة الحال الحال من إدراك المؤثر الذى يبعث الانفعال ، ولكن لا على أنه سبب الانفعال بل باعتبار أنه واسطة فقط . ويُعترض على هذه النظرية بأنه إذا كان الأمر كذلك ، فى استطاعتنا أن ننفعل فى أى وقت نشاء بالإرادة . فيكفى أن يجمع الإنسان قبضة يده ، ويرفع صوته ، ويعض نواجذه حتى يغضب ، فهل هذا

صحيح ؟ إن الممثل على خشبة المسرح لا يفعل إلا كما ذكرنا : فهو يتعمد إبراز الملامح والحركات والإشارات التى تدل على الحالة التى يستوجبها الموقف ، وقد يندمج فى تيار التمثيل فينفعل حقا . فهل هذه الحركات هى التى أدت إلى الانفعال أم أن تصور باعث الانفعال هو الذى أدى إليه ؟ وكلا الرأيين صواب فى بعض الحالات .

أثر الانفعالات فى حياة الإنسان :

الحياة بدون انفعالات تتخللها بين حين وآخر لا تكون حياة بالمعنى الصحيح ، بل تكون إلى السكون أقرب منها إلى الحركة . لأن ما يميز الحياة هو التقلب والتغير ، فالكائن الحى يولد ويكبر ويهرم ، ويعتريه خلال ذلك الصحة والمرض والانتعاش والذبول ، فما يكسب الحياة الصفة التى ينبغى أن تكتسبها ، هى الانفعالات ؛ فإننا لا نستطيع أن نجد للحياة طعما ، ولا نستطيع أن نستسيغها ، ونجعلها لينة المأخذ سهلة القبول ، إلا إذا تخللها كثير من الانفعالات . مثلنا فى ذلك مثل الطعام الذى نتناوله ، لا يكون لذيذاً مستساغا مقبولا ، إلا إذا وضعنا فيه الملح والتوابل والبهار ، التى تكسبه الطعم والنكهة ، واللذة والاستساغة ، وتجعلنا نقبل عليها . فالحياة بدون الانفعالات تكون جافة لا طعم لها .

وقد عرف الغربيون هذه الحقيقة ، فعملوا على ابتعاث الانفعالات فى أوقات مناسبة حتى ينفخوا فى حياتهم روح المرح والخفة . فتجد الزوج ينتهز فرصة عيد ميلاد زوجه ، فيبعث إليها عن طريق البريد تحفة طريفة ، كأن تكون عقداً من اللؤلؤ أو خاتماً من ماس ، فتكون مفاجأة للزوج تنفعل لها انفعال الفرح والدهشة والإعجاب ؛ أو كالوالد الذى ينجح ابنه فى الامتحان ، فيفاجئه بهدية

ثمينة ، كساعة ذهبية مثلا ، يكون لها من الوقع والأثر أكثر مما لو مهد لها بزمن طويل قبل الامتحان .

الانفعال والسلوك :

تظهر قيمة الانفعال الكبيرة فى اتصالها بالسلوك الفطرى للإنسان ، ونعنى به الغرائز المختلفة . فالغريزة التى تسعى لخير الناس كافة ، لا تتحقق إلا عند ظهور الانفعال ، هذا الانفعال الذى يكون ملائما مع طبيعة الموقف الخارجى . ففى حالة الخطر الذى يستوجب هجوم الإنسان دفاعاً عن النفس ، يظهر الغضب الذى يفيض على الجسم بنشاط جديد ، فتسرع حركة الدم ، وتتسع حدقة العين لتكون أكثر بصراً ، وعلى الجملة يتخذ الإنسان هيئة المقاتل استعداداً للدفاع . وكثيراً ما يكون سلوك الكائن فطريا وذلك حفظاً لكيانه ، حتى قبل أن يتعقد الموقف ، فكثيراً ما يظهر الخوف على بعض الحيوانات بمجرد رؤية أعدائها ، أو سماع صيحاتها ، أو شم رائحتها . فالفرخ الصغير يختبئ حين يسمع صياح الحدأة لأول مرة .

أثر الانفعال الاجتماعى :

ثم إن الانفعالات وما يرتسم معها من ملامح تظهر على الوجه ، لها أثر كبير فى حياة الإنسان . لأن لكل انفعال ملامح خاصة تصحبه . فملامح الوجه عند الفرح غيرها عند الغضب أو الخجل أو الحزن . لذلك كنا إذا رأينا ملامح شخص ما ، كان كافياً لاستطلاع ما يختبئ وراءها من انفعال ، فنستطيع أن نقرأ فى صفحة وجه صديقك ، الغضب والحزن والفرح والإعجاب . . . إلى غير ذلك . كأن الانفعالات وما يصحبها من ملامح ترتسم على الوجه أصبحت لغة طبيعية بين

الناس ، يتعرفون بواسطتها إلى ما يدور بخلد بعضهم البعض .

ولكن هذه اللغة الطبيعية أخرجها الإنسان عن طبيعتها بالإرادة ، تكلفاً لحالات يريد أن يظهرها ، فهو يبتسم حين يريد أن يظهر الرضا ، أو يعبس حين الغضب . ثم تحول هذا التكلف الإرادى إلى عادة يصطبغ بها الشخص ، فهو يوزع الابتسامات على كل من صادفه ، حتى أصبح الإنسان يضع ابتسامته على وجهه كما يلبس الشيخ عمامته . وآداب الاجتماع كلها ، كخفض الصوت حين الكلام ، وتعقيد الجبين إظهاراً للحزن ... إلى غير ذلك ، كلها انفعالات تحولت إلى عادات ، وأصبحت رموزاً اجتماعية للتفاهم والتأثير بين الناس .

الانفعال والصحة :

إذا خرجت الانفعالات عن حدودها الطبيعية فأصبحت عنيفة ، وتكررت لكثرة الطوارئ الفجائية فى الحياة ، تأثرت صحة المرء إلى حد كبير ، لأن الانفعال يؤدى إلى اضطراب جميع أجهزة الجسم الداخلية ، فيختل نظامها . وإذا كان الانفعال عنيفاً فإن أثره قد يمتد بدل بضع دقائق ، إلى بضعة أيام . فالقطة التى أدخلوا عليها كلباً شرساً ، ظلت حركة معدتها متوقفة عن العمل مدة عشرين دقيقة ، بالرغم من زوال مؤثر الخوف[1] .

ومن الثابت فى علم الطب أن الشلل النصفى ، أو ما يسميه العامة «النقطة» سببه انفجار شريان فيحدث نزيف فى المخ ، أو إنسداد شريان وحرمان جزء المخ الذى يغذيه من دمه . ومن الأسباب المباشرة لانفجار الشريان هو الانفعالات النفسية الشديدة .

---

(١) راجع ص ٢٤ .

وكثيراً ما تؤدى الانفعالات إلى الأمراض العصبية كالهستيريا ، وهنا يضاف عامل جديد يؤثر مع الانفعال هو الإيحاء . ذلك أن الشخص يزيد فى تأثير الانفعال عن طريق الإيحاء الشخصى والوهم ، فيقدر للانفعال قيمة أكثر من قيمته . فإذا استطعنا أن نزيل هذا الوهم من ذهن صاحبه بالإغراء والإقناع ، عولج الشخص وذهب عنه المرض . مثال ذلك مريض كان يعتقد أن برجليه شللاً فهو لا يتحرك فعلاً وذلك نتيجة رؤيته شخصاً مصاباً بهذا الشلل ، فأثر فى نفسه هذا المنظر أثراً بليغاً ، واعتقد بالإيحاء الشخصى أنه مريض لا يستطيع المشى وشفى هذا المريض حين شرح له الأطباء وصف حالته ، وسبب مرضه الوهمى .

وكثير من الأمراض العصبية ، هى نتيجة العقد النفسية التى تخزن فى اللاشعور ، وتبعث على الاضطراب العقلى ، وسندرس هذه الظاهرة فى الكلام عن العواطف .

العواطف

يقولون عاطفة الحنان مثل حنان الأم نحو طفلها ، وعاطفة الصداقة أى عاطفة شخص نحو شخص آخر يتخذه صديقاً له ، وعاطفة الطفل الصغير نحو لعبته ، فما هى هذه العاطفة ؟ إذا عطفت الأم نحو طفلها ، والصديق نحو صديقه ، والطفل نحو لعبته ، فإنهم يشعرون جميعاً نحو ما يتوجهون إليه بالعاطفة ، بوجدان أكثر حدة وأشد تأصلا من وجداننا نحو أشياء أخرى من نفس النوع . فالأم لا تعطف على جميع الأطفال على السواء ، بل وجدانها لطفلها أكثر تأججاً ؛ والصديق لا يشعر نحو كل الناس بنفس العاطفة ، ولكن صديقه المختار يكون موضع عنايته . ولست تجد جميع الألعاب فى نظر الطفل سواء ، وإنما لعبة خاصة هى التى يختصها الطفل بعطفه أكثر من أى شىء آخر .

ومن الناس من درج فى منزل خاص ، نبت فى كنفه ، وشب بين جدرانه ، وعاش تضمه حجراته المختلفات حيناً من الدهر ، ثم انتقل صاحبنا من هذا المنزل إلى منزل آخر ، مثل هذا الشخص لا نزاع فى وجود عاطفة عنده نحو هذا المنزل القديم الذى كان يعيش فيه ، ومعنى هذا أنه ينفعل إزاء ذلك المنزل أكثر من انفعاله من أى منزل آخر ، وأكثر من هذا ، فإن المنازل التى لا يعرفها لا ينفعل منها أصلاً ؛ فهو يشعر نحوه بنشوة الفرح ، وهزة السرور ، ويبعث فيه حين يمر به آهات من الأسف ، ورنات من الإعجاب ، وتقلبات بين الدهشة والاستغراب والحنين والقلق . فالشىء الذى يكون موضع العاطفة عند شخص يصبح مبعث هذه التأثرات الوجدانية جميعاً ، وفى هذا دليل على أنه يميل إليه بكليته وينصرف إليه بجميع نفسه . فإذا سمعت أن صديقك فى خطر ، أو مسه أحد بسوء ، فإنك تنفعل انفعال الغضب له ، والخوف عليه ، والقلق لما قد يحدث له ... إلخ . وعلى العكس من ذلك إذا سمعت عن شخص لا تعرفه ولا تربطك به صلة ، وليس بينكما أى عاطفة ، إذا سمعت أنه فى خطر فإنك قد لا تعبأ لذلك ، وقد لا يثير هذا الخبر فى نفسك أى أثر .

وفى كثير من الأحيان ، لا ندرى أننا فى حال عاطفة إلا إذا حدث ما يهدد هذا الشىء الذى نعطف عليه . فقد يظل الوالد يعنف ابنه ، ويعلن بين الناس أنه عاق فاسد الأخلاق ، فهو لا يحبه ولا يريده ، بل يمقته ويكرهه ، حتى إذا مرض الابن ولزم الفراش ، وجدت أباه قلقاً عليه ، يعمل كل ما فى وسعه ليرفه عنه ، فيحضر له الأطباء ، ويسهر بجانبه ، وكل هذا دليل على وجود العاطفة .

ثم إن العاطفة تنمو وتزيد وتعمق كلما زادت التجربة والمرانة ، وكثرت الألفة واشتدت الصلة . ذلك أن العاطفة تجمع الانفعالات التى تنتج عن الحوادث

المتصلة بشيء من الأشياء ، فكل حادثة جديدة تخرج انفعالا جديداً ، يندرج فى قائمة العاطفة ، فيزيدها قوة وتماسكا . ومن هنا نستطيع أن نفسر اشتعال عاطفة الصداقة كلما زادت الألفة بين الصديقين . ولعل عاطفة الأمومة ، بجانب أنها تقوم على عامل غريزى ، ترجع إلى صلة الأم بوليدها أيام الحمل والوضع والحضانة ، وانفعالها فى أثناء ذلك بشتى الانفعالات المختلفة التى تتجمع كلها وتنتظم حول الطفل ، ولكل هذا أثر فى تكوين هذه العاطفة الحادة ، التى هى المثل الأعلى للعواطف .

ونستطيع أيضا أن نفسر السر فى احتفاظ الناس بأشياء لا قيمة لها فى الواقع ، ولا تنفعهم فى وقتهم الحاضر . فكثير من الناس يحتفظون بالكراسات المدرسية التى كانوا يكتبون فيها أيام الطفولة الأولى ، أو يحتفظون بملابس قديمة ، فهذه الأشياء وأشباهها ، هى رموز لتلك العهود القديمة التى كانت محل العاطفة .

اتجاهات العاطفة :

لابد أن تكون العاطفة موجودة بين صاحبها و بين شيء آخر ، صاحبها « طرف أول » ، والشيء الآخر « طرف ثانٍ » كما يقولون فى لغة القانون . أما أن توجد العاطفة جزافاً ، كما يقول بعض الناس ، دون أن نعرف ما هذا الشيء الذى نعطف عليه ، فهذا خطأ لا يقبله العلم .

فالشخص كالشعلة التى يصدر عنها الضوء فتنير بأشعتها ما تقع عليه . هذه النقط التى يصيبها شعاع النفس ، هى المراكز التى تلتقى عندها عاطفة الشخص وتتجمع . وهذه المراكز لاتخرج عن كونها شيئاً أو شخصاً أو جماعة أو فكرة .

فالعاطفة نحو شيء هى كعاطفة البخيل نحو المال ، أو السكير نحو الخمر ، أو عاطفة الشخص نحو السيارة التى يملكها ، أو القلم الذى يكتب به ، أو المقهى الذى

يختلف إليه ... ألخ . وتختلف عواطف الناس فى هذه الناحية بين السمو والتفاهة ، فعاطفة حب الزهور والحدائق والصور الجميلة والآثار الفنية ... أسمى وأبلغ وأعمق من غيرها . وتتوقف العاطفة نحو الأشياء على المعانى التى نستمدها منها ، فالمال للبخيل مادة الحياة ، والطفل لوالده أمله فى المستقبل ، والكتاب للأديب ثروة العقل .

وهناك عاطفة تتجه نحو شخص واحد ، كعاطفة الأم نحو ابنها ، والصديق نحو صديقه ، والعامل نحو صاحب العمل الذى يشتغل عنده ، والطالب نحو مدرّسه ، وابن الوطن نحو زعيم أمته ... ألخ . وعاطفة الإنسان نحو الحيوان تدخل فى هذا الباب مثل العاطفة نحو القط أو الكلب أو العصفور المغرد فى القفص .

وقد تتجه نحو جماعة ، مثل الكراهية بين الألمان واليهود ، والعاطفة نحو فرقة كرة القدم ، وعاطفة التلميذ نحو طلاب المدرسة التى يدرس فيها ، وعاطفة الشخص نحو أهل المهنة التى ينتمى إليها ، كعاطفة الصحفى نحو الصحفيين ، والموظف نحو فئة الموظفين ، والطبيب نحو جمهور الأطباء .

وقد لا تتجه العاطفة نحو شىء ، أو شخص ، أو جماعة ، بل نحو فكرة مجردة كحب الحقيقة والفضيلة ، وعاطفة الجمال ، والعاطفة الدينية والعلمية والفكرية .

تكوين العاطفة :

إذا حللنا العاطفة تحليلا دقيقاً إلى عناصرها الأولى نجد أنها ترجع إلى نوعين : الحب والكراهية ، التى إن هى فى الواقع إلا الصورة السلبية للحب . والعواطف الأخرى مزيج من الحب وشىء آخر ، فعاطفة الأمومة هى حب الأم لطفلها ، والشفقة حب الضعيف ، والصداقة حب الصديق . وهناك من يضيف نوعاً جديداً من العواطف هو الاحترام ، والحقيقة أن الاحترام حب وتقدير .

ومكونات العاطفة تقوم على طبيعة الشخص ، وعلى انتظام الانفعالات حول موضوع العاطفة ، وعلى الظروف الخارجية الشخصية .

فللغرائز الفطرية أثر كبير فى تكوينها ، فغريزة الأمومة هى الأصل فى عاطفة الأمومة . ولمّا كانت الغرائز تختلف بين الناس قوة وضعفاً وزماناً ، اختلفت العواطف أيضاً لأنها تقوم على أساس من الغريزة . فإذا قويت غريزة حب الاستطلاع عند شخص تمكنت منه العاطفة العلمية ، وإذا برزت غريزة الاقتناء أصبح بخيلا . والعاطفة تستمد أصولها أيضاً من الطبائع الخاصة التى يرثها الفرد ، كالميل إلى الموسيقى أو الرياضة البدنية ، أو الأدب والشعر ، وتعدل هذه العواطف حسب الظروف الاجتماعية التى يصادفها صاحبها فى طريقه . فكأن الإنسان مسوق بالطبيعة إلى تكوين العواطف التى تتركب منها حياته ، كالشراهة وهى حب الطعام أساسها صحة الجهاز الهضمى . وقد يرث الإنسان أيضاً الميول النفسية والعقلية كالعاطفة الدينية ، إذ كثيراً ما تجد أخوين يعيشان معيشة واحدة ، ولكن أحدهما يتجه اتجاهاً دينيا ، والآخر لا يحب التديّن .

وتتكون العاطفة من تجمع عدة انفعالات ، وانتظامها وتركزها حول موضوع العاطفة . فعاطفة الشفقة تنشأ على هذا النحو : يرى الإنسان خلال حياته منظر البائسين والمساكين فيتألم ، وقد يكون هذا البؤس شديداً فيثير الخوف أو الغضب ، ثم تحسن إلى المساكين الذين يلهجون بالثناء عليك فتفرح . وهذه التجارب المختلفة ، لا تشهدها فقط عند الناس ، وإنما تقع لك ، فيتيسر لك أن تحسها وتشعر بها مع رؤيتها ، وهذا الشعور الشخصى أوقع فى معرفة الحقائق . فالألم والفرح والخوف والغضب . . . وهذه الانفعالات المختلفة المتكررة تدور حول موضوع البائس المسكين ، فتخرج لنا عاطفة الشفقة . والألفة تزيد العاطفة قوة ،

إذ تثار كثير من الانفعالات تزيد فى تكوينها . والعاطفة من جانب آخر باعثة على الانفعال ، مثال ذلك إذا كانت عندك عاطفة الشفقة ورأيت مسكيناً تألمت له ، و إذا كنت فاقداً لها فإنك لا تتألم لرؤية ذلك المسكين .

العاطفة والانفعال أصلهما واحد ، لأنهما يمثلان الناحية الوجدانية من الحياة . والعاطفة كما رأيت مزيج من عدة انفعالات . والفارق بينهما يقع فى أن الانفعال وقتى يزول بزوال المؤثر ، بينما العاطفة أدوم أثراً وأبقى مدة . و بينما أثر الانفعال يذهب بعد مدة قصيرة ، فإن العاطفة قد تصحب صاحبها إلى أن يموت كالعاطفة الدينية .

وهناك عوامل خارجية تساعد على تكوين العاطفة هى البيئة . والبيئة هى كل ما يحيط بالشخص : كالأرض التى يعيش عليها ، والجماعة التى ينشأ بين ظهرانيها . ومهمة البيئة فى تكوين العاطفة هى أنها تمد الشخص بالأشياء التى تتركز حولها العاطفة ، هذه الأشياء هى التى ينفعل منها الشخص ، فتتجمع الانفعالات ، و يخرج من نتيجة تجمعها العاطفة .

ولما كانت البيئات مختلفة ، والمجتمعات متباينة ، اختلفت عواطف الناس فى تكوينها عند الأشخاص تبعاً لذلك . ولذا تجد أهل الريف فى عواطفهم غير أهل المدن ، لأن الريفى يعيش بين المناظر الطبيعية والأرض الزراعية ، فتتجه عواطفه نحو الساقية ، والبقرة والنخلة ، والقروية التى تحمل البلاص ، ونحو الشمس المشرقة ، والنجوم المتألقة ، والليل الداجى . بينما أهل المدن تتكون عواطفهم نحو دور الخيالة ، والسيارات ، والأزياء ونحو ذلك .

وللتعليم أثر كبير فى تكوين كثير من العواطف ، ولا سيما تلك التى تتجه نحو أفكار مجردة . ذلك أن هناك عاملا عقليا له أهميته فى تكوين العاطفة ،

هذا العامل هو إدراك موضوع العاطفة أى فهمه ووضوحه فى الذهن . فالشفقة لا تقوم إلا على إدراك معنى البؤس ، وكثيراً ما تخفى علينا هذه المعانى ، كما كانت الحال فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية ، إذ كان القوم فى بؤس شديد ، ولكن أحداً لم يفطن إلى ذلك ، حتى جاء أمثال « ڤولتير ، ومولبير » وغيرهما فأحسوا بذلك البؤس لأنهم أدركوا المعانى الموجودة فيه . والإنسان لا ينفعل من المناظر الطبيعية ، ويتأثر منها حق التأثر إلا إذا كان على علم بمعنى الجمال وأسسه . والعاطفة العلمية لا تقوم إلا على أساس فهم قيمة العلم وقدره ومنزلته . لذا كانت العواطف السامية متوقفة إلى درجة كبيرة على العلم والثقافة . فعاطفة حب الوطن على وجهها الصحيح ، هى عند الشخص المتعلم أعمق وأصدق منها عند الجاهل . كذلك أمثال هذه العواطف كحب الديمقراطية والشعر تحتاج إلى قدر كبير من التعليم .

وتحتاج العواطف فى نشأتها وتكوينها إلى المجتمع ، حيث يستمد صاحب العاطفة عواطفه عن طريق الإيحاء والمحاكاة . ولذلك تجد ضروباً من العواطف تسود عند كل شعب على حدة ، وتشيع فى أجيال دون أخرى ، فلكل مجتمع عواطفه التى يتميز بها . ويقال فى علم الاجتماع : إن العواطف التى تشيع بين الشعوب تتغير كل نصف قرن . وتستطيع أن نسمى هذه العواطف العامة بالتقاليد .

انتقال العواطف[١] :

لا تظل العاطفة ثابتة فى اتصالها بالأشياء ، بل تتغير وتنتقل وتتحول من موضوع إلى آخر . ويقع هذا التحول بأن تربط العاطفة بشىء لا يكون هو

---

(١) Le transfer des sentiments.

السبب فى إحداثها ، وذلك إما عن طريق التلازم أو التشابه . فإذا حدث أن شيئين متلازمين أدى أحدهما إلى عاطفة فإن الشىء الآخر يثير نفس هذه العاطفة . كتب « روسو » عن نفسه ما يأتى . « إن ما يصلنى بدراسة النبات هى سلسلة من الخواطر المرتبطة بعضها ببعض ، فتذكرنى بالأماكن والأحراش ومجارى المياه ، والوحدة والسلام والراحة التى كنت أجدها بين كل هذا . إنها تذكرنى بصباى وبأفراحى البريئة » . فهذه المشاهد المختلفة والذكريات المتعددة ، التى صاحبت ملاحظة النباتات فى ذهن « روسو » ، انتقلت وتركزت فى دراسة النباتات .

قد ينتج الانتقال عن طريق التشابه بين موضوع العاطفة وبين شىء آخر يماثله . فكثيراً ما ترى امرأة غلاما فتحس نحوه بعاطفة شديدة ، والسر فى هذا أنه يشبه ابنها الذى فقدته . ومثال ذلك ما يحدث لنا حينما نرى شخصاً لأول وهلة فنحس نحوه بالاحترام أو الشفقة أو الكراهية ، وهذا يرجع إلى وجه الشبه بينه وبين شخص آخر كان موضع هذه العاطفة . كذلك تنتقل العاطفة من شخص بعينه وتشيع فى عدة أشخاص ، وهذا هو تفسير العاطفة المتجهة نحو جماعة ، فإذا عرفت صديقاً من أهل الإسكندرية فإنك تحب أهل هذه المدينة جميعاً .

وتتطور العاطفة من مستوى إلى آخر كما تنمو الحياة ، فعاطفة البخل تكون فى الأصل حبا للمال لأنه يجلب الفائدة ، ويحقق المطالب المختلفة التى يرغب فيها الإنسان . ثم تتحول هذه العاطفة إلى حب المال فى ذاته ، لا على أنه واسطة لتحقيق الرغبات .

منطق العواطف[١] :

حياة الإنسان مزيج من العواطف ولكنها تختلف من شخص إلى آخر . وللعاطفة أثر كبير فى التفكير ، لذلك يسمى التفكير المستمد منها منطق العواطف . وهو نوعان : منطق يبرر به صاحبه العواطف التى تسيره ، كالبخيل الذى يحاول دائما تبرير مركزه بالنسبة إلى جمع المال ، أو السكير يسوّغ لك لماذا يشرب الخمر . فالبخيل لا يحاول البحث عن سبب جمع المال ، والسكير لا يفكر لماذا يشرب الخمر ، بل البخل والسكر حقيقتان بالنسبة لأصحابهما لا يبحثان فيهما ، وإنما يعملان على تبريرهما . وهذا هو ما يسمى منطق التبرير[٢] .

والنوع الثانى هو منطق الإنشاء[٣] ، الذى يرسم به صاحب العاطفة الخطط المختلفة التى توصله إلى تحقيق العاطفة ؛ كزعيم الأمة الذى يحب وطنه ، فيعمل على تخليصه من الأعداء ، أو رفع شأنه بين الأمم الأخرى .

وليس هناك تعارض بين العاطفة والعقل ، فهما يسيران جنباً إلى جنب . ولكن الصلة بينهما تختلف ، فقد يسيطر العقل على العاطفة ويقودها ، وقد تعلو كلمة العاطفة فتجتاح العقل . ومعيار العاطفة يقاس بانتصارها على العقل أو خضوعها له .

والإنسان فى حالة العاطفة لا يفقد العقل ولكنه يفكر بشكل جديد . وأثر العاطفة فى التفكير يتناوله من ثلاثة نواحٍ : فهى تؤدى إلى حسن التفكير ، أو التحيّز ، أو الخطأ .

---

(١) Ancien Traité Dumas. Tome I Page 488.

(٢) Raisonnement de justification.

(٣) Raisonnement constructif.

والإنسان حين يعطف على شيء ينصرف إليه ، وتختلط نفسه به ، ويكون دائم الصلة به كالبخيل تدور حياته على المال ، والعالم على العلم ، فتتفتح النواحى المختلفة للشيء أمام بصر صاحب العاطفة ، إذ يكون دائم الانتباه إلى ما يعطف عليه ، فتتضح الحقائق المتصلة به فى ذهنه . لذلك يحسن فهم الأشياء ويحسن التصرف فى الأمور . فالبخيل الذى يصرف وقته كله وراء البحث عن المال ، يعرف أغلب الحقائق الاقتصادية ، ويُحسن فهمها ، وإذا عرضت له مشكلة مالية أبدع التصرف فيها ، حتى تزيد ثروته ، ويتكدس ماله . كذلك العالم يحسن فهم الحقائق العلمية ، ويحل مشاكل العلم ، ويخترع المخترعات المفيدة للعلم .

ولكن هذا الانصراف إلى ناحيـة واحدة تعطف عليهـا يجعلك تزيد فى تقديرك لها ، وتغلو فى رفع قيمتها ، وتضعها فى غير موضعها الصحيح ، ومن هنا ينشأ التحيّز . ولذا كان القـاضى لا يستطيع إبداء حكم صحيح إذا كان على صلة بأحد المتقاضين ، أو بعبارة أخرى بينهما عاطفة صداقة . وتجد المؤرخين من العرب يتحيزون للعروبة ، وغيرهم من الفرنجة يحطون من شأن العرب وهكذا . والتحيز هو انصراف الذهن إلى ناحية واحدة من نواحى الموضوع ، مع غض النظر عن باقى النواحى التى يكون لها أثر فى الحكم النهائى على الموضوع ، أو كما قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

والإنسان فى خضوعه للعاطفة تضعف عنده قوة النقد ، وهى ضرورية لتمييز الخطأ من الصواب ، والوصول بالتفكير إلى الصحة . ولذلك كثيراً ما تؤدى العاطفة إلى الخطأ الذى يكون شـديداً فى العلوم الاجتماعية والأدبية والسياسية ، لأنها علوم تقديرية قياسها يقع على حسب ميل الإنسان لها . ولكن كيف نفهم الخطأ فى الحقائق العلمية المستقلة عنا ، والواحدة بالنسبة لجميع النـاس ؟ حينما اخترع

« جاليليو » المنظار المكبر لرصد النجوم والكواكب ، وقال بأن الأرض هى التى تدور حول الشمس لا العكس ، هدّده رجال الكنيسة بالحرمان والاضطهاد إذا لم ينزل عن آرائه ويحطم منظاره ، وهذا نتيجة تأصل العاطفة الدينية .

ولصاحب العاطفة منطقه الخاص ، فهو لا يبحث عن الحقيقة ، ولكنه يعتقدها ويؤمن بها ، ويحاول إثباتها بالبراهين وتبريرها بالمسوغات .

وقد قيل إن الحب أعمى ، والحب هو أساس العواطف كما ذكرنا ، فالعاطفة تعمى الإنسان عن الحقيقة ، وكما أن النبات لا يمتص من الأرض إلا ما يلائم نموه ، كذلك العاطفة لا تنتقى من الحقائق إلا ما يوافق هواها . والمتعلمون من الناس أقل خضوعاً للعاطفة فى تفكيرهم من الجهال ، لأن للمتعلم من ثقافته ومن شخصيته القوية ما يجعله لا يجرى إلا وراء الحقيقة فى ذاتها ، بينما الجاهل يعتقد ويؤمن عن طريق الخضوع للأهواء والإنقياد دون التبصر والتفكير الصحيح .

العاطفة والسلوك :

يخضع تفكير الإنسان إلى حد صغير أو كبير للعاطفة ، وينتج عن ذلك توجيه السلوك تبعاً للمنطق الذى يسلكه ، لأن حياة الإنسان لا تخلو من العاطفة . ويكون سلوك المرء على حسب العواطف الموجودة عنده . فالعاطفة الوطنية تدفع الإنسان إلى الدفاع عن الوطن بجميع الوسائل ، كالتبرع بالمال ، والتطوع فى الجيش . وعاطفة الشفقة هى التى تدفع صاحبها إلى أن يحسن إلى الناس .

وتتميز شخصية الإنسان على حسب العواطف التى تدور عليها حياته ، لأن حد الشخصية هو الاتجاه نحو أغراض مخصوصة يسلك الإنسان لتحقيقها طرقاً لا يحيد عنها . وفى ذلك يتفاوت الناس ويختلفون ، بحيث نستطيع أن نميز كل

شخص على حدة ، فحاتم الطائى كان كريماً ، وعمر بن الخطاب شفيقاً ، والحجاج قاسياً . . . . . فهذا السلوك المختلف هو نتيجة تباين العواطف عند هؤلاء الأشخاص . وهذه العواطف وهذا السلوك هما اللذان يبرزان شخصية المرء .

فإذا طغت العاطفة على صاحبها كست شخصيته ، كشخصية البخيل فإنها مستمدة من البخل . وقد يعمل الإنسان تحت سيطرة العاطفة دون أن يشعر ، فالإرادة تصبح خاضعة لهوى العاطفة ، فلا يستطيع الإنسان أن يوقف سيلها الجارف أو وجهتها الجامحة .

الكبت والعقد النفسية :

من العواطف والميول ما تضطرنا الحياة الاجتماعية والأخلاقية والتقاليد إلى كبح جماحها ، وإيقافها عند حدها . وقد اكتسب الإنسان بالتربية والتعليم نوعاً من الرقابة يلاحظ بها الميول التى تصلح أن تظهر فى مجرى الشعور وتلك التى لا تصلح . هذه النزعات التى لا يرغب الشخص أن يبرزها للعيان ، لا تموت ولا تفنى ، بل تلقى فى اللاشعور ، وتكبت وتخمد . هذه الظاهرة هى التى سماها « فرويد » بالكبت[١] .

واكتشاف ظاهرة الكبت لم يكن بالأمر السهل ، لأن الرغبات المكبوتة تظهر فى صور رمزية مختلفة كل الاختلاف عن الانفعال المكبوت ، أو الرغبة المتراجعة . ويرجع الفضل فى اكتشافها إلى أحد الأطباء النمساويين هو الدكتور « بروير »[٢] الذى عجب لكثير من المرضى الذين يتألمون آلاماً نفسية كبيرة ، ولم يكن طب ذلك الوقت لينفعهم . ثم لاحظ الدكتور « بروير » أن ذكرى

---

(١) refoulement.

(٢) Dr Breuer.

بعض الانفعالات تستمر فى الذهن فى حالة غموض ولا يشعر بها المريض ، وهى التى تؤدى إلى كثير من الاضطرابات العقلية والجسمية لا يعرف لها الطب علاجاً . وقد فكر « برويز » أنه إذا استطاع أن يخرج هذه الانفعالات المكبوتة من اللاشعور إلى الشعور حتى يراها الشخص شفى المريض . وكانت طريقته فى بعث هذه الذكريات القديمة هى التنويم المغناطيسى .

وكان « فرويد »[١] يعمل مع « برويز » ولكنه رجع عن استعمال التنويم لخطأ هذه الطريقة ، واقترح طريقة جديدة نصل بها إلى كشف هذه « العقد النفسية »[٢] المكبوتة فى اللاشعور ، وهذه الطريقة هى التى تعرف بالتحليل النفسانى[٣] وخلاصتها ما يأتى : —

١ — إلقاء أسئلة خاصة على المرضى .

٢ — التحليل الدقيق لرغبات المريض وإشاراته وحركاته وفلتاته غير المقصودة ، وتحليل الخواطر التى ترد فى ذهن المريض .

٣ — تحليل الأحلام ، ويعتبرها « فرويد » من أكبر ما ينبىء عن هذه الرغبات المكبوتة .

ولنضرب مثلا يوضح لنا ما هى هذه العقد النفسية المكبوتة ، وكيف تؤدى إلى الأمراض العصبية ، وكيف يعالج المريض بواسطة التحليل النفسانى . شاب ظهرت عليه هذه الأعراض : القىء ، عدم الشهية للطعام ، شلل وهمى فى الرجلين ، دقات شديدة فى القلب ، الخوف من الموت ، والميل إلى الانتحار . هذه كلها أعراض هستيرية لم يستطع الطب علاجها ؛ وقد وجد الأطباء عند فحص القلب

---

(١) Freud.

(٢) Complexes.

(٣) Psychanalyse.

أنه سليم ليس به أى مرض وكذلك المعدة . وبالتحليل النفسانى وسؤال المريض، اتضح أنه منذ خمس سنوات وقع من الدور الأول فى المدرسة على الأرض مدة ثم أغمى عليه . هذه الفترة التى مرت بين وقوعه و بين الإغماء ، أصيب فيها بانفعال شديد هو الذعر والخوف من الموت . ولما جاء رجال الإسعاف ، وأفاق المريض من الإغماء ، أصيب بالقىء الذى هو نتيجة الخوف الشديد ، ولم يستطع أن يمشى على قدميه لمدة ثلاثة أشهر . هذا الخوف الشديد تراجع إلى اللاشعور وعاش مكبوتاً هنالك وكوّن عقدة نفسية ، هى التى تبعث الأعراض السابقة بين حين وآخر . وقد عولج هذا الشخص باستخراج هذه الحادثة التى نسيها إلى ميدان الشعور .

لم يقف « فرويد » عند هذا الحد ، ولكنه أراد أن يعمم نظريته بحيث تشمل جميع الأعمال الإنسانية ، فهو يقول إن الرغبات النفسية المكبوتة هى أساس السلوك عند الإنسان فى جميع النواحى . ويخرج من هذا التعميم إلى تعميم آخر وهو أن الغريزة الجنسية هى التى تحتل المكان الأول من بين الرغبات المكبوتة ، وأنها تخمد بالظروف الاجتماعية والتقاليد والتربية والإرادة . وأغلب الثروة الأدبية والفنية والفكرية وقوة الابتداع ترجع على حسب هذا الرأى إلى هذه القوة المحبوسة ، التى تنطلق وتظهر فى هذه النواحى المختلفة ، كالرسم والموسيقى والشعر والتصوير ... ألخ . وفى أحوال أخرى تؤدى إلى الاضطرابات العصبية .

ونظرية « فرويد » إذا كانت صحيحة فى كثير من الأحيان ، فإن تعميمها بالشكل الذى أوضحناه فيه كثير من المغالاة ، وهذا هو أهم اعتراض يوجه لهذه النظرية .